الفصل الثاني

موضوع علم اللغة

يدرس علم اللغة (Linguistics) اللغة بصورة عامة ، لانها اساس جميع العلوم الانسانية ، وظاهرة اجتماعية لها أوثق العلاقات بما في الكون .

ومع امتداد تاريخ البحث فيه من لدن البراهمة ، والاغريق ، والعرب وغيرهم ، لبراعتهم في علوم اللغة، الا أن أمره ظل حينا في دائرة ضيقة ومحدودة، لأن بعض العلماء نظر اليه كشيء كمالي ، لا علاقة له بالحياة ، كما نظر الى اللغة كوسيلة لا غاية .

وكان من نتائج تطبيق الأسلوب العلمي في الطبيعة ، الذي ادى اكتشافات هائلة ... اثر كبير في ترقية الأبحاث اللغوية والعناية بها ، وتطبيق الأسلوب العلمي عليها ، باعتبارها كأي شيء يوصف ويحد ويقيد ويخضع للتجربة .. ففتحت آفاقه الواسعة ، ونال العناية الكافية ، وعسى أن نلحق نحن بها :

يحدث التاريخ أن الأشوريين ، وكذلك الأمة الصينية واليابانية والبراهمة — ابان نهضتهم — قد اهتموا بلغاتهم من قديم :

فقد عنى البراهمة باللغة السنسكريتية نحوا وصرفا واشتقاقا وتدوينا قبل الميلاد .

كما يذكر المؤرخون : أن معجم (شوفان) لمؤلفه (هوشن) طبع سنة ١٥٠ ق . م ومعجم (يوبيان) لمؤلفه (كوبى وانج) طبع سنة ٥٣٠ م وهما يعدان أساسا للمعاجم الصينية اليابانية .

وجاء فى مقدمة معجم (فيشر) اننا : « اذا استثنينا الصين ، لايوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته ، وبشعوره المبكر بحاجتـه الى تنسيق مفرداتها ، حسب أصول وقواعد غير العرب » . ويحكى السيوطى فى المزهر ٢/١ أن بعض الملوك فى المغرب سأل الصحاب بن عباد أن يقدم عليه ، فقال له : أحتاج الى ستين جملا أنقل عليها كتب اللغة التى عندى .

وبداية الدرس اللغوى عند العرب ، كانت نحوية ، ثم صرفية ، وجمالية فى علوم البلاغة ، وادبية نقدية فى علوم الأدب ونقده كما فى الأسواق الأدبية ، والعروض والقافيـة ، كما اهتموا بعلوم القرآن وقراءاته وتفسيره لغويـا ومعنويا . ونشطوا فى جمع الألفاظ وتدوينها لصنع المعاجم الدقيقة ، حتى تحفظ اللغـة من الضياع .

وعنى الخليل بن أحمد بدراسة الناحية الصوتية والحروف ، معتمدا على الناحية الذواقية عنده ، والجهد الشخصى ، وأبرز سيبويه هـذه الجوانب فى كتابه ، ومن الغريب أن دراسة العلوم اللغوية الحديثة بوسـائلها التقنية وامكاناتها المعينة ، لم تناقض ما قرره أسلافنا ولكن اختلفت معهم قليلا فى بعض الجزئيات .

ولذا يعتبر القدامى من علمائنا ــ بحق ــ أساتذة لعلماء الغرب ــ ابان نهضتهم ــ فى هذا الجانب اللغوى ، كما كانوا أساتذتهم فى الجوانب الحضارية والثقافية الأخرى .

ومن المستشرقين من أهدانا الرائع من ثمار أبحاثهم الحديثة ، فى ضوء مناهج البحث العلمى ، وامكاناته المتاحة . وعسى أن تتفتح عيوننا فى صحوتنا على ثورة ثقافية ونهضة علمية ، تعيد الينا ماضينا المشرف ، ومستقبلنا الوضىء الذى نرنو اليه .

ولم تبرز عناية العرب بفروع الدراسات اللغوية التى بحثوها بصورة شاملة ، ومنهج أدق وأوفى ، وادخل فى علوم اللغة الا ابان القرن الرابـع الهجرى ، حين ظهرت آراء الفارسى ، وابن جنى ، وابن فارس وغيرهم .

* * *

وقام الدرس اللغوى فى الغرب على غرار صـنع العرب ، فاحتـذوا حذوهم ، وساروا على نمطهم زمنا كما سنذكر ذلك ، الا أن علماء الغرب ــ

في نهضتهم الحديثة ـ خطـوا خطوات أوسع ، وفتحوا ميادين جديـدة ، وطرقوا أبوابا لم يطرقها العرب :

فاعتنوا بعلم اللغة التاريخى ، والجغرافى ، والموا بالحقل النظـرى والتطبيقى ، واعتنوا بعلم اللغة المقارن ، وعلاقة اللغة بغيرها من العلوم ، وبيان المؤثرات التى يخضع لها التفكير اللغوى ... واهتمت جامعاتهـم الكبرى بانشاء دوائر خاصة لعلم (الفونتيك) وسأعدوا الأساتذة واهتموا بالمختبرات ، والآلات المسجلة والمصورة ، والأشعة الخاصة كمختبرات الفيزياء وغيرها من العلوم ، فتوصلت الى نتائج باهرة ، فأمها الطلاب ، وأرسلت اليها البعوث ونشرت أبحاثهم ، واليك رسما يوضح فروع اللغة ، يتبعه شرح موجز للأستاذ الدكتور محمود اسماعيل صينى .